

## حمام الجنيينة (تدعل) بالعلا، المملكة العربية السعودية

عبدالله آدم نصيف

أستاذ مشارك، قسم الآثار والمتاحف، كلية الآداب،  
جامعة الملك سعود، الرياض، المملكة العربية السعودية

(قُدم للنشر بتاريخ ٢٤/٢/١٤١٧هـ؛ وقُبل للنشر بتاريخ ٢٠/٧/١٤١٧هـ)

ملخص البحث. اشتهرت العلا بآثارها المتنوعة التي خلفتها الحضارات المختلفة في العصور القديمة والإسلامية. ومن أهم هذه المخلفات الحضارية المنشآت المائية المتمثلة في شبكة قنوات المياه الجوفية للحصول على المياه المخزونة في باطن الأرض واستخدامها في الأغراض الزراعية والمنزلية. وقد ارتبط بنظام القنوات في العلا إقامة منشآت مائية أخرى تخدم أغراضاً انتفاعية مرتبطة بحياة المجتمع في البلدة. ومن هذه المنشآت التي ظلت باقية إلى عهد قريب «حمام الجنيينة»، وهو حمام لم يسبق لأحد دراسته وقد أشرت إليه في دراستي السابقة عن العلا بالإضافة إلى نشر مخطط وصورة له دون إجراء أي دراسة تفصيلية.

ويقع هذا الحمام في الجهة الشمالية خارج أسوار البلدة قريباً من البوابة المعروفة بسور الجنيينة وهو يمثل حمام بلدة العلا الرئيسي وهو بذلك مشابه لحمام وادي القرى وحمام الجحفة بالحجاز، وحمام دندانقان في خراسان خلال العصور الإسلامية المبكرة. وهو ليس الوحيد من نوعه في الجزيرة العربية من ناحية تقسيمه إلى عدة مجموعات من المنشآت المائية، فقد أشار ولكنسون إلى مثل هذه المجموعة في عمان في جنوب شرق الجزيرة العربية. ويعتمد هذا الحمام على قناة تدعل التي يرجع تاريخها إلى ما قبل الميلاد.

اشتهرت العلا بآثارها المتنوعة، التي خلفتها الحضارات المختلفة في العصور القديمة والإسلامية، ومن أهم هذه المخلفات الحضارية، المنشآت المائية المتمثلة في شبكة قنوات المياه الجوفية للحصول على المياه المخزونة في باطن الأرض، واستخدامها في الأغراض الزراعية والمنزلية. <sup>(١)</sup> وقد ارتبط بنظام القنوات في العلا إقامة منشآت مائية أخرى تخدم أغراضاً انتفاعية مرتبطة بحياة المجتمع في البلدة. ومن هذه المنشآت التي ظلت باقية إلى عهد قريب حمام الجنيينة، وهو حمام لم يسبق لأحد دراسته، وقد أشرت إليه في دراستي السابقة عن العلا في بضعة أسطر فقط، بالإضافة إلى نشر مخطط وصورة له دون إجراء أي دراسة تفصيلية. <sup>(٢)</sup>

ويقع هذا الحمام في الجهة الشمالية خارج أسوار البلدة، قريباً من البوابة المعروفة بسور الجنيينة، <sup>(٣)</sup> وهو يمثل حمام بلدة العلا الرئيسي ولا نعرف متى ولماذا سمي بحمام الجنيينة. وكل ما نعرفه أن الجنيينة موضع أو قرية كانت تقع حسبما ذكره الجغرافيون القدماء، شمال قرية الحجر القريبة من العلا، <sup>(٤)</sup> ولا نعرف ما هي صلة الجنيينة المذكورة بهذا المكان. وتسمية هذه المنشأة بالحمام فيها شيء من التجاوز من الناحية العلمية المؤلفوة، فالحمام في المصطلح المعماري بناء شبه مغلق، يتكون من بضع حجرات كبيرة أو أيوانات يحيط بها حجرات صغيرة يعلوها قباب تتخللها عدة ثقب مسدودة بألواح زجاجية تسمح

**ملاحظة:** يود الباحث أن يشكر كلاً من علي بن إبراهيم حامد غبان وجمال الحرامي من قسم الآثار بجامعة الملك سعود، على الملاحظات القيمة التي قدمها لهذا البحث.

(١) لمزيد من المعلومات عن أنظمة الري هذه وطرق إنشائها، انظر مقالة عبدالله آدم نصيف، «القنوات والنظام الزراعي في المدينة المنورة»، العصور، ١، ج ٢ (١٩٨٦م)، ١٩٩-٢١٢.

(٢) A.A. Nasif, *at-Ula, an Historical and Archaeological Survey with Special Reference to Its Irrigation System* (Riyadh: King Saud Univ. Press, 1988). 135, 146, 150.

(٣) إن أسوار البلدة هنا في الواقع ما هي إلا جزء من جدر المنازل المتصلة مع بعضها، وبعد قيام المملكة العربية السعودية واستتباب الأمن، امتد العمران إلى خارج بوابتي السور الشمالي بحيث أصبح الحمام لا يفصله عن المنازل إلا سوقٌ ضيقة.

(٤) حمد الجاسر، كتاب المناسك وأماكن طرق الحج ومعالم الجزيرة (الرياض، دار اليمامة: ١٣٨٩هـ)،

يدخول الضوء دون الهواء ، كما يشتمل على صالة للاستقبال وقاعة لخلع الملابس تسمى المسلخ frigidarium أو apoditarium ، وقاعة للحرارة المتوسطة tepidarium ، وأخرى للحرارة العالية caldarium ، تشتملان على عدة أحواض للمياه ومن ضمن وحدات الحمام المعمارية أيضاً موضع لتسخين الماء وتوليد البخار hypocaust الذي يندفع إلى الحجرات والقاعات الداخلية.<sup>(٥)</sup> وقد توافرت لدينا معلومات عن حمامات بخارية يرجع تاريخها إلى العصر الروماني<sup>(٦)</sup> وأخرى إلى العصر البيزنطي.<sup>(٧)</sup> كما أن هناك أمثلة أخرى لهذه الحمامات ترجع إلى الفترة الإسلامية المبكرة، لعل من أشهرها حمام الصرح وحمام قصير عمره في بادية الشام وهما من العصر الأموي،<sup>(٨)</sup> وحمام في قرطبة وآخران في طليطلة من العصر الأموي في الأندلس.<sup>(٩)</sup> وأقدم حمام في دمشق مازال بحالة جيدة حمام نور الدين،<sup>(١٠)</sup> والذي يرجع إلى القرن الثاني عشر الميلادي.

ومن العصر المملوكي توجد أمثلة متعددة، نذكر منها، حمام السلطان المؤيد

(٥) لمزيد من المعلومات، انظر: دائرة المعارف الإسلامية، ترجمة أحمد الشنتناوي وآخرون، ٨ (القاهرة: دار الفكر، د.ت.)، ٦٨.

(٦) انظر مثلاً: Axel Boethius and J. B. Ward - Ward - Perkins, *Etruscan and Roman Architecture* (London: Penguin Books, 1970), 473-75, 483-86 يتحدث المؤلف في هذه الصفحات عن حمامات هادريان وحمامات الصيد في مدينة لبلدة الكبرى في ليبيا، وعن حمامات تمجد بالجزائر، ويعود تاريخها كلها إلى القرن الثاني الميلادي.

(٧) Richard Goodchill, *Cyrene and Apollonia*, 4th ed. (Tripoli 1983), 69; Iain Broning, *Jerash and the Decapolis* (London: Chatto and Windus, 1982), 197.

(٨) انظر مثلاً: K.A.C. Creswell, *Early Muslim Architecture* (Beirut: Librairie du Liban, 1968), 99-106 الترجمة العربية: عبد الهادي عبله، الآثار الإسلامية الأولى (دمشق: دار قتيبة، ١٩٨٤م)، ١٣٩-١٤٦؛ وانظر كذلك: فوزي زيادين، قصير عمره الأموي (عمان دائرة الآثار العامة، ١٩٧٧م)، ٧-٦.

(٩) سعاد ماهر، العمارة الإسلامية على مر العصور (جدة: دار البيان العربي، ١٩٨٥م)، ٣١٨-٣١٩.  
(١٠) عفيف البهنسي، الفن الإسلامي (دمشق: دار طلاس، ١٩٨٦م)، ٢٩٣.

بالقاهرة،<sup>(١١)</sup> وحمّام الناصري بحلب؛<sup>(١٢)</sup> وأما الحمامات المماثلة التي تعود للعصر العثماني، فنجدها منتشرة في كثير من الأقطار الإسلامية، ففي الجزيرة العربية كان هناك اثنان منها في المدينة المنورة وهما حمام طيبة وحمام السروجي،<sup>(١٣)</sup> وقد تمّ ازالتها مؤخرًا، كما نجد حمامًا آخر في وسط الجزيرة العربية وهو حمام الطريف في الدرعية عاصمة الدولة السعودية الأولى.<sup>(١٤)</sup> كما نذكر حمام المخا في اليمن في جنوب الجزيرة.<sup>(١٥)</sup> أما في خارج الجزيرة العربية، فنجد عددًا من مثل هذه الحمامات في تركيا ومصر وبلاد الشام.<sup>(١٦)</sup>

(١١) صالح لمعي مصطفى، التراث المعماري الإسلامي في مصر (بيروت: جامعة بيروت العربية، ١٩٧٥م)، ٧٨-٣١٩.

(١٢) البهنسي، الفن الإسلامي، ٢٩٣.

(١٣) عن حمام طيبة، انظر: صالح لمعي مصطفى، المدينة المنورة وتطورها العمراني وتراثها المعماري (بيروت: دار النهضة العربية، ١٩٨١م)، ٢٢٥-٢٢٧. وقد أزيل هذا الحمام ودخل في توسعة خدام الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز آل سعود للحرم النبوي؛ أما حمام السروجي فقد التقط الباحث عدة صور فوتوغرافية له، قبل أن تتم إزالته ضمن هذه التوسعة.

(١٤) الإدارة العامة للآثار والمتاحف بالمملكة العربية السعودية، حمام الطريف وملحقاته، حي الطريف- الدرعية (الرياض: الإدارة العامة للآثار والمتاحف بالمملكة، د. ت.).

(١٥) رحلة بن معصوم المدني أو سلوة الغريب وأسوة الأريب، تحقيق شاكِر هادي شكر (بيروت: عالم الكتب- مكتبة النهضة العربية، ١٩٨٨م)، ٩٣-٩٤.

(١٦) لقد كان في القاهرة وحدها على سبيل المثال، في نهاية القرن الثامن عشر الميلادي، مائة حمام حسبما ذكره صالح لمعي مصطفى، التراث المعماري، ص ٧٧؛ وكان أُندرجه يرمون قد أشار في مؤلفه: فصول من التاريخ الاجتماعي للقاهرة العثمانية، الذي كتب فيما بين عامي ١٩٦٢م و١٩٦٩م، إلى وجود ٧٧ حمامًا في القاهرة في القرن ١٨م؛ انظر الكتاب المذكور، ترجمة زهير الشايب (القاهرة: مكتبة مدبولي، ١٩٧٩م)، ١١٧، ولعل من أقدم هذه الحمامات الحمام الفاطمي الذي كشفت عنه الحفائر في عام ١٩٣٢ (لزيد من المعلومات عن هذا الحمام انظر: أحمد عبدالرازق أحمد، تاريخ مصر وآثارها الإسلامية منذ الفتح العربي حتى نهاية العصر الفاطمي (القاهرة: دار الفكر العربي، ١٩٩٣م)، ٢٦٧-٢٧٠.

والحمام الذي نحن بصدد دراسته، يختلف تمامًا عن هذه الحمامات المشار إليها، ولا يشترك معها إلا في الوظيفة والاسم فقط، فهو لا يشتمل على وحدة لتسخين الماء ولا يستخدم فيه البخار وبنائه ليس مغلقًا، وقد أطلق عليه اسم الحمام لاستحمام الناس فيه بالماء الجاري الذي يمر به ومصدر هذه الماء قناة تدعل، وهي إحدى قنوات المياه الجوفية المشار إليها أعلاه. ويتضح من اسم القناة أنها تعود إلى فترة ما قبل الميلاد، فهذا الاسم واضح أنه محرف من الاسم «تدع إل» وهو من الأسماء العربية القديمة المعروفة في جنوب الجزيرة العربية وشمالها، وهناك عدد من الملوك السبأيين والحضرميين من الذين حكموا في خلال الألف الأول ق. م. وكانوا يحملون اسم يدع إل.<sup>(١٧)</sup> والمعروف أن لفظ إل عند عرب الشمال وعرب الجنوب يدل على معنى الإله، ولذلك نجده ملحوظًا بكثير من أسماء المعينيين، وهم من عرب الجنوب الذين استقروا في مدينة ديدان (العلا) في فترة ما قبل الميلاد.<sup>(١٨)</sup>

### تاريخ الحمام

يرتبط تاريخ إنشاء الحمام فيما يغلب على الظن، بنشوء بلدة العلا واستيطانها، وربما يرجع تاريخه أو على أقل تقدير تاريخ بنائه بهذا الأسلوب الذي ستحدث عنه، إلى تطور مرافق الحياة وانتشار العمران في هذه البلدة بعد أن أصبحت المدينة الرئيسة في المنطقة. والفترة التي نشأت فيها بلدة العلا غير معروفة حتى الآن، ولعلها كانت في الأصل ضاحية من ضواحي مدينة ديدان الشهيرة، فهي لا تبعد عن مركز هذه المدينة بأكثر من ثلاثة أكيال، ولكننا لا نملك أي معلومات عنها في خلال تلك الفترة.<sup>(١٩)</sup> والمعروف أن

(١٧) ديتلف نلسون وآخرون، التاريخ العربي القديم، ترجمة فؤاد حسنين علي (القاهرة: دار المعارف،

١٩٥٨م)، ٢٩١-٢٩٣.

(١٨) انظر مثلاً: عبدالله نصيف، «نقوش معينة من العلا»، الدارة، ١٨، ٤٤ (رجب وشعبان ورمضان

١٤١٣هـ)، ٥٢-٦٩.

(١٩) كل المعلومات المتوافرة لدينا حتى الآن عن تلك الفترة هي عن مدينة ديدان التي كانت عاصمة

لمملكة ديدان ثم لمكة لحيان، كما كانت مركزًا تجاريًا لدولة معين المعروفة في جنوب =

دور ديدان السياسي والتجاري قد انتقل إلى مدينة الحجر عقب وصول الأنباط إلى المنطقة . ثم عند ظهور الإسلام نجد أن قاعدة المنطقة ، ليست ديدان أو الحجر ، بل هي مدينة قرح التي اشتهرت باسم وادي القرى . وفي هذه الفترة يظهر اسم العلا لأول مرة في المصادر الإسلامية المتوافرة لدينا ، ضمن سرد حوادث سنة ١٣٠ هـ ،<sup>(٢١)</sup> وبعدها اندثرت قرح مدينة وادي القرى من خلال النصف الأخير من القرن السادس الهجري ، واختفى اسمها واسم وادي القرى من المنطقة ، برز اسم العلا وأصبحت منذ أوائل القرن السابع البلدة الرئيسة هناك .<sup>(٢٢)</sup> ويمكننا إلى حد ما نسبة تاريخ بناء الحمام إلى هذه الفترة ، ففي تلك الفترة يصف إبراهيم بن شجاع الحنفي مدينة العلا سنة ٦٢٣ هـ : أنها ذات نخل كثير وقمر وعيون عذبه يزرع عليها ، ولها أمير ، ويودع الحجاج بها أمتعتهم .<sup>(٢٣)</sup> ويصفها أيضاً ابن بطوطة في عام ٧٢٦ هـ : أنها قرية كبيرة حسنة لها بساتين النخل والمياه المعينة يقيم بها الحجاج أربعاً يتزودون ويغسلون ثيابهم ويدعون بها ما يكون عندهم من فضل زاد .<sup>(٢٤)</sup> فمن هذا الوصف ربما يشير ابن بطوطة ، إلى حمام الجنية المقام على عين (قناة) تدعل ، فمنه يتزود أهل العلا بالماء المنزلي وفيه يغتسلون ويغسلون ثيابهم . كما أشار الخياري الذي مر بالعلا في غرة

= الجزيرة العربية ، ومن ضمن النقوش التي عثر عليها في موقع هذه المدينة نقش معيني وردت فيه كلمة *ع ل ت* ، وقد حاول عبدالمنعم عبدالحليم سيد في دراسته لهذا النقش أن يربط بين هذه الكلمة وبين اسم العلا ؛ (انظر الملخص العربي لمقالته المنشورة بالإنجليزية «نقش معيني جديد من العلا» ، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، جامعة الملك عبدالعزيز ، ط ٤ (القاهرة : دار المعارف ، ١٩٧٧ م) ، ٢ (١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢ م) ، ٦٦ .

(٢٠) أبو جعفر محمد بن جرير الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، تحقيق محمد أبو الفضل ، ط ٤ (القاهرة : دار المعارف ، ١٩٧٧ م) ، ٧ : ٣٩٨ .

(٢١) لمزيد من المعلومات انظر : Abdallah A. Nasif, "The Identification of the Wadi al-Qura and the Ancient Islamic site of al - Mibat," *Arabian Studies*, vol. 5 (Cambridge: Middle East Centre, Univ. of Cambridge, 1979), 1-19.

(٢٢) حمد الجاسر : «ليس الحجر مدائن صالح» ، العرب ، ١ ، ٢ (رجب/ شعبان ١٣٩٨ هـ) ، ٧ .

(٢٣) ابن بطوطة ، رحلة ابن بطوطة (بيروت ، دار إحياء العلوم ، ١٩٨٧ م) ، ١ : ١٢٧-١٢٨ .

صفر من عام ١٠٨٠هـ إلى وجود عين ماء عذبة لها موردان، يردها الحجاج،<sup>(٢٤)</sup> ولعله قصد مورد النساء ومورد الرجال اللذين يشتمل عليهما الحمام.

وقد ظل الحمام يقوم بوظائفه المتعددة لخدمة هذه البلدة حتى رحل الناس عنها إلى أحياء جديدة منذ نحو عشرين عامًا،<sup>(٢٥)</sup> وفي شعبان من عام ١٤٠٢هـ/ يونيو ١٩٨٢م انقطع ماء القناة أو انقطعت العين حسب التعبير السائد هناك، وبعد ذلك بطل استخدام الحمام، ثم تعرض للهدم والردم على يد بلدية العلا في غياب الوعي الأثري، ولكن قبل هدمه، لحسن الحظ قمت في شتاء ١٩٧٨م بالتقاط عدة صور فوتوغرافية للحمام، وعملت مخططاً تفصيلياً له بمساعدة المساح الأثري للإدارة العامة للآثار والمتاحف بالرياض.

### الوصف المعماري التفصيلي

يتكون حمام الجنيينة من ثلاث وحدات بنائية، لكل منها وظيفته الخاصة: اثنتان منها خاصة بالنساء، وهما المورد ومكان الغسيل والاعتسال، والثالثة خاصة بالرجال (لوحة رقم ١). وتشغل هذه الوحدات مساحة منخفضة من الأرض تختلف في سماتها السطحية (طوبغرافيتها) من موضع إلى آخر، حيث تتخللها بعض الصخور المرتفعة نسبياً عن بقية المواضع المستوية، وكان لهذا الاختلاف أثره في تخطيط الوحدات المائية التي تضمنتها المجموعة المعمارية وعناصر إنشائها.<sup>(٢٦)</sup>

(٢٤) إبراهيم بن عبدالرحمن الخياري المدني، رحلة الخياري - تحفة الأدباء وسلوة الغرباء، تحقيق رجاء محمود السامرائي (بغداد: المؤسسة العامة للصحافة والطباعة، دار الجمهورية، ١٣٨٩هـ/ ١٩٦٩م)، ٤٢-٤١: ١.

(٢٥) لقد ولد كاتب البحث ونشأ في هذه البلدة وكان أحد المنتفعين بخدمات هذا الحمام وقد رحل مع أسرته من هذا الحي القديم وذلك في عام ١٣٨٧هـ/ ١٩٦٧م.

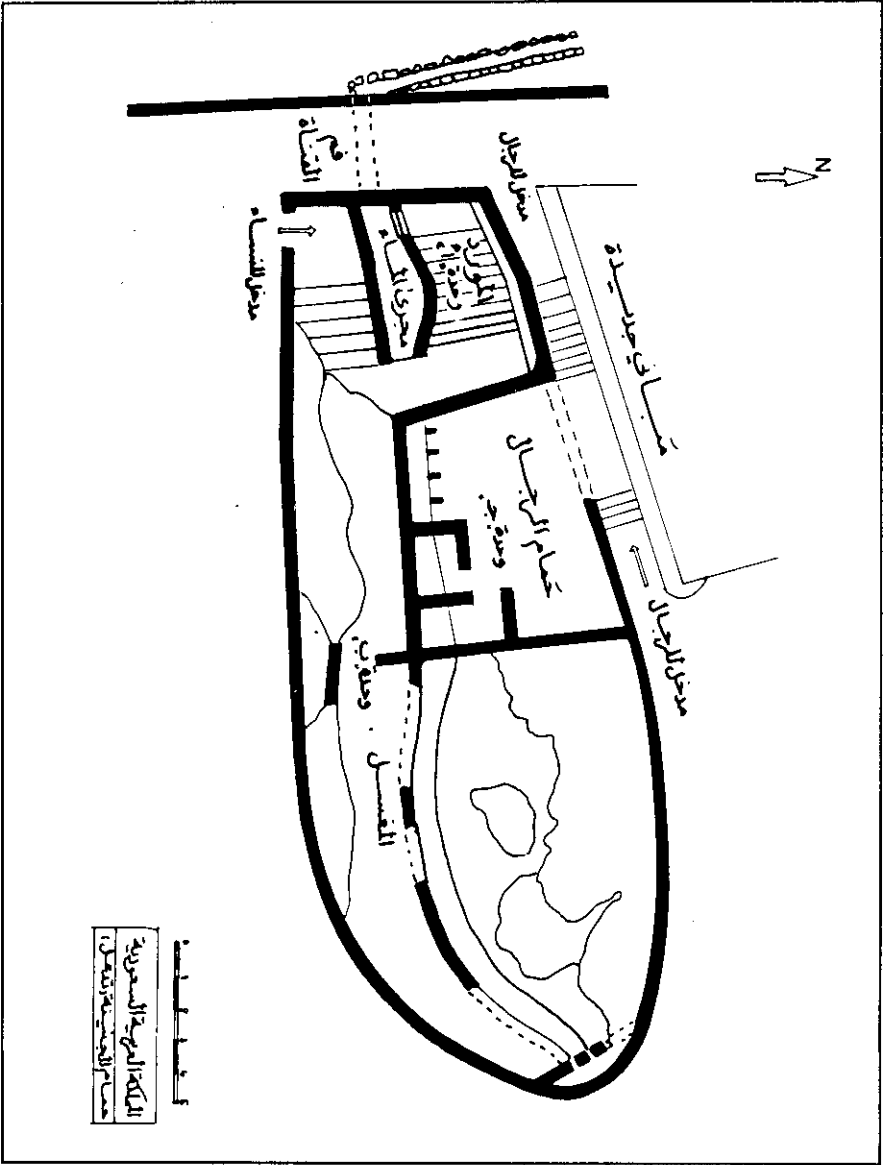
(٢٦) يبدو أن هذا الانخفاض في الأرض لم يكن طبيعياً، بل تم بيد الإنسان لكي تخرج القناة إلى النور ويجري ماؤها على سطح الأرض ليتمكن الناس من الانتفاع به في هذا الموضع للأغراض المنزلية.



لوحة رقم ١ . حمام الجنينة بأجزائه الثلاثة (تقريبًا).

وتخترق هذه المساحة القناة التي يعتمد عليها في أداء الخدمات التي اشتمل عليها الحمام، ويبلغ أقصى طول لهذه المساحة من الشرق إلى الغرب ٢٧,٧٥ متر، بينما يبلغ أقصى عرض لها من الشمال إلى الجنوب ١٠,٨٥ متر، ويحده من الغرب جدار مستقيم ومنتظم بينما يتقوس الجدران اللذان يحدان المبنى من الشمال إلى الجنوب ليلتقيا في الجهة الشرقية على هيئة قوس محدب نسبيًا (انظر شكل رقم ١).





شكل رقم ١ . حمام الجنينة (تدعل).



شكل رقم ٢ . الامتداد العمراني خارج أسوار بلدة العلا (بلدية العلا، ١٣٨٣هـ).

وسوف نرسم لكل وحدة من الوحدات البنائية الثلاث برمز معين يميزها عن غيرها، ويساعد في ذات الوقت على تتبع الوصف المعماري لها، فالوحدة التي تستخدم في الحصول على ماء الشرب والأغراض المعيشية الأخرى، يرمز لها بحرف (أ) وهذه الوحدة في إطار هذه الوظيفة يمكن أن نسميها أيضاً «المورد» حسباً هو متعارف عليه محلياً، والوحدة التي تستخدمها النسوة في الاغتسال وغسيل الملابس ونحوها سنرمز لها بالحرف (ب)؛ أما الوحدة الثالثة الخاصة بالرجال فنرمز لها بحرف (ج).

وبما أن استخدام الوحدات (أ) و (ب) مقتصر على النساء، فقد كان الاتصال المعماري بينهما اتصالاً مباشراً، حيث يؤدي إلى كل منهما مدخل واحد خاص بالنساء بينما استقلت الوحدة (ج) استقلالاً تاماً وأنشئ لها مدخل خاص بالرجال (انظر شكل رقم ١).

وقد حكم مصدر الماء وسمات سطح الموقع، التخطيط العام للحمام إلى حد كبير، حيث أنشئت الوحدات الثلاث على جانبي مجرى القناة التي تظهر على السطح عند الحد الغربي، كما روعي وضع المدخل المؤدي إلى الوحدة (أ) والوحدة (ب) في الطرف الغربي للضلع الجنوبي لأن مستوى سطح الأرض في هذه الجهة أعلى من مستوى سطحها في الجهة الشمالية، حيث تقع الوحدة (ج) المخصصة للرجال. وفي هذا التخطيط ما يوفر نوعاً من الستر للنساء في الوحدات (أ) و (ب)، لأن انخفاض مستوى سطح الأرض في وحدة الرجال، لا يؤدي إلى كشف وحدتي النساء بأي حال من الأحوال.

وقد استخدم الحجر واللبن والطين في بناء الجدران الخارجية والقواطع الداخلية التي تفصل بين الوحدات التي يتكون منها الحمام، فاستخدم الحجر في بناء أساسات الجدران الملاصقة لمجرى القناة والتي تتعرض لتأثير الماء، بينما استخدم اللبن في بناء المداميك العلوية. وستحدث فيما يلي شيء من التفصيل عن تخطيط كل وحدة من هذه الوحدات.

### الوحدة أ (المورد)

تسمى هذه الوحدة بالمورد كما تعرف أيضاً بالمملى بكسر الميم الأولى وتسكين

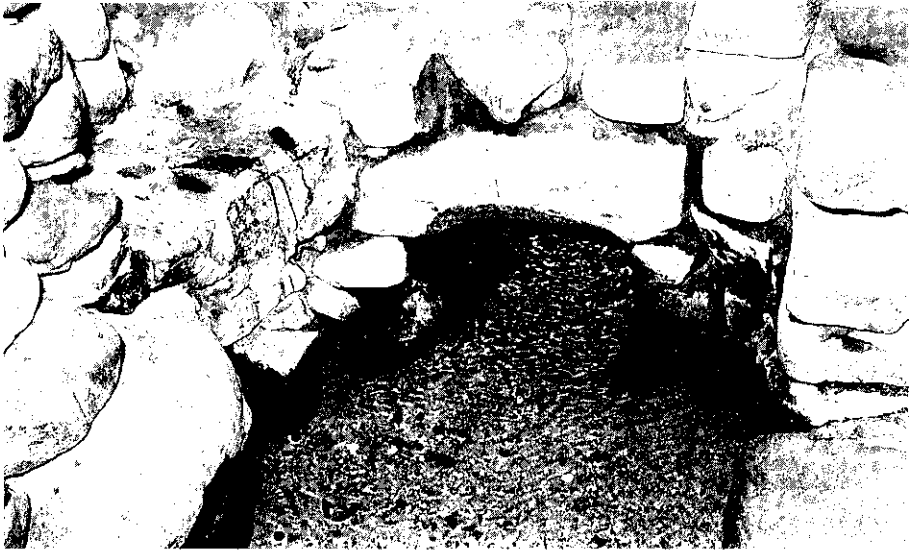
الثانية وفتح اللام، حيث تملأ الأوعية والقرب بالماء النظيف من هذا المكان، وهي الموضع الذي ترد إليه النساء، للحصول على الماء اللازم للشرب والاستخدامات المعيشية الأخرى. ويتم الوصول إلى هذه الوحدات والوحدة ب كما ذكرنا آنفاً من مدخل النساء الذي يقع في الطرف الغربي للجدار الجنوبي. ويبلغ اتساع هذا المدخل متراً واحداً وارتفاعه مترين، ويؤدي هذا المدخل إلى ممر واسع يشغل مساحة منخفضة على هيئة شبه منحرف يتم النزول إليه بواسطة درج أشبه ما يكون بمرقاة يتكون من ست عتبات قليلة الارتفاع. ويلاحظ أن اتساع الدرج يضيق كلما هبطنا، حيث يبلغ اتساع العتبة الأولى ١٠، ٢ متر، والثانية ٢٠، ٢ متر، والثالثة مترين، والرابعة ١، ٨٥ متر. أما الخامسة، فيبلغ اتساعها ١، ٧٠ متر، وذلك بسبب وجود صخرة ملاصقة لهذا الدرج من الجهة الجنوبية، وإلى يسار الهابط مباشرة من هذا الدرج فتحة المدخل المؤدي إلى المورد.

ويشغل المورد مساحة من الأرض غير منتظمة الشكل وذات سطح صخري تقريباً، يبلغ طول ضلعها الشرقي خمسة أمتار، والشمالى ٦، ١٠ متر، والغربي ٤، ٢٠ متر، والجنوبي ٥، ٣٠ متر. وتوجد في نهاية الطرف الشرقي لهذا الضلع فتحة غير مسقوفة، سعتها ١، ٥ متر، ويتم من خلالها الدخول للمورد. وهذه الفتحة تؤدي إلى ممر طوله من الشمال إلى الجنوب ٤، ٢٥ متر وعرضه مساوياً لاتساع الفتحة، ويتصل به من الجهة الغربية درج هابط يتكون من عدة عتبات يتصل أسفلها بعتبتين أو ثلاث، تهبط إلى مجرى القناة من خلال فتحة - غير مسقوفة - في جدار قصير مقوَّس الشكل بني من الحجر على الجانب الشمالي لمجرى القناة المكشوف. وهنا جدار قصير آخر، بني من الحجر ملاصقاً للضلع الشمالي، استخدم كرف توضع عليه الأوعية بعد ملئها بالماء أو أية أغراض أخرى عند الحاجة. وسطح هذا الجدار مستو، ولكن ارتفاعه يختلف تبعاً لمستوى الدرج النازل، فطرفه الغربي أكثر ارتفاعاً بالطبع من طرفه الشرقي، الذي أتاح انخفاضه هنا، الفرصة للجلوس عليه من قبل بعض النساء اللاتي يشعرن بالتعب من الوقوف انتظاراً لأخذ دورهن للماء أو عيتهن بالماء.

يوجد في هذا الموضع فم القناة، وسعة فتحته ٥٠ سم، حيث تخرج القناة إلى النور بعد أن قطعت مسافة مئات الأمتار تحت الأرض، جالبة الماء صافياً من الطبقة الحاملة للمياه

الجوفية ، ويجري الماء هنا في قناة مكشوفة لمسافة ٦٥ و٤ متر ، ثم يختفي تحت الأرض مرة أخرى ليخرج في الوحدة ج .

واختيار هذا الموضع لإنشاء المورد كان مقصودًا ، حيث يتم فيه الحصول على الماء اللازم للشرب من فم القناة مباشرة ، قبل أن يمر مجراها المكشوف على الوحدات الأخرى التي يستخدم فيها الماء الجاري لأغراض أخرى (انظر لوحة رقم ٢) .



لوحة رقم ٢ . المورد لأخذ ماء الشرب من فم القناة ، حيث تخرج هنا للمرة الأولى إلى النور .

### الوحدة ب

وتعرف هذه الوحدة محليًا بالمغسل ، وهي موضع اغتسال النسوة وغسل الملابس وغير ذلك من أغراض النظافة الأخرى ، وتشغل القطاع الشرقي من الحمام وتخللها بعض الصخور ، سيما في الجانب الشمالي ، ويتم الوصول إلى هذه الوحدة عبر استطراق يؤدي إليه الدرج الهابط الذي سبق وصفه في الحديث عن الوحدة (أ) . ويبلغ طول هذا الاستطراق من الشرق إلى الغرب ٨,٧٥ متر ، وهو محصور بين الضلع الجنوبي للحمام والجدار

الجنوبي للوحدة (ج) المخصصة للرجال . وينتهي هذا الممر في جهته الشرقية بجدار يشتمل على باب مفتوح سعته متر واحد فقط ، يؤدي إلى موضع اغتسال النسوة وغسل الملابس . ويبلغ أقصى طول لهذا المكان من الشرق إلى الغرب ١٣ متراً؛ أما عرضه فيبلغ نحواً من عشرة أمتار . ويمر مجرى القناة في هذه المساحة في هيئة مقوسة ، وقد بني على حافة المجرى الجنوبي جدار قصير من الحجر بار تفاع ٣٠ سم تقريباً ، تتخلله ثلاث فتحات ، ويبلغ اتساع الفتحة الأوفى ١٠ ، ٣ متر ، والثانية ٦٠ ، ١ متر؛ أما الثالثة ، فسعتها ٤٠ ، ٣ سم . ويلاحظ أن القطاع الشمالي في هذه الوحدة تشغله صخرتان مرتفعتان نسبياً عن بقية مستوى سطح الأرض . ويتضح من خلال تصميم هذه الوحدة الحرص على وقاية النساء وسترهن وتوفير المكان المناسب للاغتسال وغسل الملابس ونحو ذلك ، حيث يتوافر مكان فسيح لهذا الغرض في هذه الوحدة ، ولذلك فهي أكبر وحدات الحمام مساحة (لوحة رقم ٣) .



لوحة رقم ٣ . الوحدة (ب) المغسل .

## الوحدة جـ

هذه الوحدة تمثل القسم الخاص بالرجال، وتعرف محلياً بحمام الرجال (لوحة رقم ٤). وقد بينت على جزء من الحمام غير منتظم الشكل، على هيئة شبه منحرف، طول ضلعه الغربي ٤,٦٠ متر، والجنوب ٦,٧٠ متر، والشرقي ٦ أمتار، والشمالي ٧,٦٠ متر. وتشتمل هذه الوحدة على موضع للوضوء (ميضأة) وموضعين آخرين للاغتسال، مستقلاً كل منهما عن الآخر، لإتاحة الفرصة لاغتسال شخصين في وقت واحد. ويتم الدخول إلى هذه الوحدة من مدخلين متقابلين يقعان في الجهة الشمالية، أحدهما باتجاه الغرب والآخر باتجاه الشرق. ولكل منهما درج هابط يتكون بالنسبة للمدخل الغربي من تسع درجات بنفس هيئة الدرج الهابط في القسم المخصص للنساء. أما درج المدخل الشرقي، فيتكون من أربع درجات، ويمتد ما بين المدخلين، ملاصقاً للضلع الشمالي



لوحة رقم ٤ . الوحدة (ج) حمام الرجال .

لهذه الوحدة، قطاع صخري من الطين الأبيض الصلب المليء بالعقيدات الطينية، وقد استخدم كرف يضع عليه الرجال عباءاتهم ومعاطفهم التي يرتدونها خلال فصل الشتاء. (٢٧)

## التقسيمات المعمارية

### الميضأة

وهي عبارة عن خمسة مواضع أنشئت على الحافة الشمالية لمجرى القناة، يجلس عليها خمسة من الرجال للاستنجاة في وقت واحد، ويفصل بينها أربعة فواصل مبنية من الحجر، لتستر كل جالس في موضع، عن المجاور له في الموضع الآخر.

### المغتسل أو الطهر

ويشغل الطرف الشرقي لمجرى القناة داخل هذه الوحدة، ويتكون من حجرتين: إحداهما تلي الميضأة مباشرة، وقد بنيت جدران هذه الحجرة من الحجر على مساحة طولها من الغرب إلى الشرق ١,٧٥ متر وعرضها ٢٠,١ متر، وهي مكشوفة بدون سقف، ولها فتحة باب سعتها ٠,٦٥ متر، تقع في الطرف الشرقي للجدار الشمالي. ويلاحظ عدم وجود مصراع لهذا الطهر، ولكن وجود فتحة بابه في الطرف الشرقي للجدار، وامتداد مساحته في الجهة الغربية، ساعد على ستر من بداخله، وتجري القناة وسط الطهر من الغرب إلى الشرق حيث يمكن لمن يريد الاغتسال استخدام الماء الجاري مباشرة.

أما المغتسل الثاني، فيجاور الطهر الأول من الشرق، حيث يفصل بينهما جدار توجد في أسفله فتحة تسمح بمرور الماء الجاري، كما توجد في طرفه الشمالي فتحة باب سعتها ٠,٧٥ متر. وهذا الطهر أكبر من الطهر الأول، وهو يشغل مساحة مستطيلة طولها من الشمال إلى الجنوب ٢,٥٠ متر وعرضها ٢٠,١ متر، ولا يمكن لمن بخارجه كشف ستر من بداخله لامتداد مساحته في الجهة المعاكسة لاتجاه فتحة بابه، وهي نفس الفكرة التي

(٢٧) هذا القطاع الصخري لم يظهر في المخطط لكونه غير متصل بالأرضية التي تشغلها هذه الوحدة لوجود تجويف في أسفله.



لوحظت في تخطيط موضع فتحة باب الطهر الأول مع اختلاف الاتجاه. ولهذا الطهر سقف من جذوع النخل وجريده، وهي الموضع الوحيد المسقوف في هذا الحمام.<sup>(٢٨)</sup>

### الدراسة المقارنة

تشير المعلومات المتوافرة لدينا في المصادر إلى حمامات أخرى كانت موجودة في الجزيرة العربية وإيران، ومثابرة حمام الجنيبة من حيث موقعه خارج البلدة وكذلك من حيث إقامته على قنوات المياه الجارية.

فقد ذكر المقدسي أن حمام قرح، مدينة وادي القرى، يقع خارج البلدة.<sup>(٢٩)</sup> ومدينة قرح تقع على بعد ثمانية عشر كيلاً جنوب العلا، وقد كانت العلا إحدى القرى التابعة لها، كما أشرنا إلى ذلك أعلاه. ولم يوضح المقدسي ما إذا كان حمام قرح من نوع حمام الجنيبة، أم أنه من نوع الحمامات التي يُستخدم فيها البخار. ولم تكشف التنقيبات المحدودة التي أجريت في موقع قرح المعروف حالياً بالمليبات، عن هذا الحمام حتى الآن.<sup>(٣٠)</sup> ويغلب على الظن أن حمام قرح كان مبنياً على مجرى إحدى العيون (القنوات) التي أشارت المصادر إلى وجودها في هذه المدينة.<sup>(٣١)</sup> وفي خارج الجزيرة العربية نجد حمامات أخرى مثابرة لحمام العلا من حيث موقعه خارج البلدة، وذلك حسبما ذكره المقدسي عن حمامات الجحفة بالحجاز ودندانقان في خراسان بإيران.<sup>(٣٢)</sup> ومن المحتمل أن حمامات

(٢٨) يلاحظ في الصور الفوتوغرافية المنشورة في هذا البحث، وجود مبنيين للطهر في وحدة «ب» ومبنيين للطهر بوحد «ج» بنيت بالطوب الحديث المصنوع من الأسمنت وسقفت بألواح من الخشب، وقد استحدثت هذه المباني في فترة متأخرة.

(٢٩) المقدسي، المعروف بالبشاري، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم (ليدن: مطبعة بريل، ١٩٠٦م)، ٨٤.

(٣٠) انظر: محمد إبراهيم، ضيف الله الطلحي، مايكل جيلمور، جمال مرسي، «تقرير ميداني»، أطلال، ٩ (١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م)، ١١٣-١٢٣.

(٣١) الحسن الأصفهاني (لغده)، بلاد العرب، تحقيق حمد الجاسر وصالح العلي (الرياض: دار اليمامة، ١٩٦٨م)، ٣٩٧.

(٣٢) المقدسي، أحسن التقاسيم، ٣١٢.

دندانقان هذه، مقامة أيضاً على قنوات المياه الجارية، فقد اشتهرت إيران بكثرة القنوات المائية التي تسحب المياه من باطن الأرض لتجري فوق سطح الأرض بعد أن تقطع مسافة طويلة تحت الأرض، ومنها أخذ سكان جزيرة العرب القدماء هذا النظام<sup>(٣٣)</sup> الذي نجده في العلا. أما المثال المشابه إلى حد ما لحمام الجنيينة بالعلا من حيث الوظيفة، والتقسيم المعماري ومصدر الماء، وكذلك من حيث موقعه خارج البلدة، فنجده في عمان جنوب شرق الجزيرة العربية، وذلك من خلال ما رواه ولكنسون عن نظام الأفلاج (القنوات) هناك. فقد ذكر أن المنطقة السكنية غالباً ما تكون قريبة من الطرف الأعلى لمجرى الفلج المكشوف، أي عند بداية المزارع، وذكر أن هناك منشآت عامة أقيمت على مجرى الفلج الرئيسي المغطى أي قبل خروجه إلى وجه الأرض للانتفاع بماء الفلج للأغراض المنزلية، ويأتي في مقدمتها الحصول على ماء الشرب، ثم الجزء الخاص باستحمام الرجال، ويليه آخر، خاص باستحمام النساء، وهو منفصل تماماً عن المنشأة المخصصة للرجال، ثم تأتي أخيراً المغسلة، وهي الجزء الخاص بغسل الموتى.<sup>(٣٤)</sup>

وبفحص تقرير جون ولكنسون هذا وتفصي صحة ذلك لدى بعثة عمان التعليمية بالرياض من أصحاب الخبرة بالفلج ونظامه حصلت على المعلومات المتعلقة بهذا الموضوع مدعمة بالصور الفوتوغرافية اللازمة، التي قام بالتقاطها السيد سعيد بن ناصر الشكيلي، الملحق الثقافي العماني بالرياض أثناء إجازة عيد الأضحى لعام ١٤١٦ هـ وهي كالتالي: يتم الانتفاع بماء الفلج للأغراض المنزلية عن طريقة إنشاء مورد على مجرى الفلج الرئيسي (لوحة رقم ٥)، يسمى «الشرعية» حيث يخرج ماء الفلج هنا لأول مرة إلى سطح الأرض. ومن هذا المكان يتزود الناس المقيمون والمسافرون بما يحتاجونه من مياه الشرب ونحوها. وكانت الشريعة هذه عبارة عن حوض واسع، بحسب غزارة الماء المتدفق من الفلج، يمتلئ بالماء الذي ترد إليه الدواب، وفي وقتنا الحاضر أدخلت بعض التحسينات المعمارية الحديثة على الشريعة كما يتضح من الصورة (لوحة رقم ٦).

(٣٣) عبدالله آدم نصيف، «القنوات والنظام الزراعي»، العصور، ١، ج٢ (١٩٨٦م)، ١٩٩-٢١٢.

J. C. Wilkinson, "The Organization of the Falaj Irrigation System in Oman," Research Papers, No. 10. (٣٤)

School of Geography, Univ. of Oxford (July, 1974), 13-14.

ويستمر الفلج بعد ذلك في مجراه تحت الأرض، حيث تقام عليه عدة فتحات تسمى «الثقاب» لغرض الوضوء والاستحمام من قبل الرجال، الذين يرتادون مسجد الشريعة الذي يقام عادة عند الشريعة (انظر الصورة، لوحة رقم ٧).

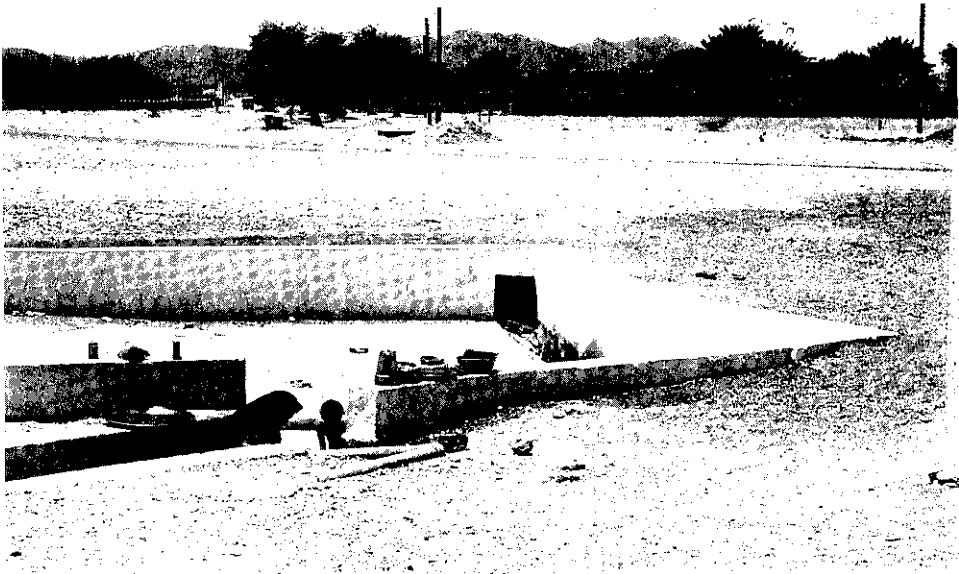


لوحة رقم ٥. الفلج وهو يقترب من الظهور إلى سطح الأرض.

ويستمر الفلج في مجراه المغطى، وقبل دخوله وسط الحي السكني يمر من وسط منشأة معمارية تسمى «المجازة»، وهي خاصة للنساء، للاستحمام وغسل الملابس ونحوها. والمجازة محاطة بسور ساتر وعال لمنع المتطفلين من الرجال والولدان من الدخول إليها أو الاقتراب منها ويلاحظ وجود هذه المجازة عند كل حي سكني يمر عليه مجرى الفلج. أما مغسلة الموتى فهي ليست على مجرى الفلج الرئيس مباشرة، وإنما هي مقامة على مجرى فرعي يسمح بجريان جزء من الماء لغسل الميت ومن ثم يصرف هذا الماء المستعمل في ري الحقول المجاورة أو في حفرة خاصة بحيث لا يعود إلى مجرى الفلج الرئيس.



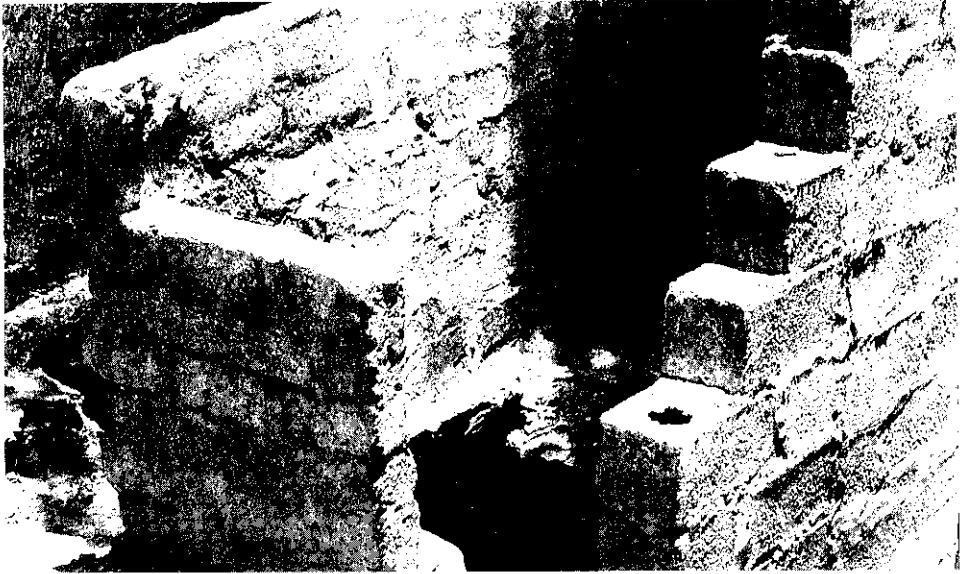
لوحة رقم ٦ (أ). ها هو ماء الفلج، وقد ظهر هنا، في ما يسمى بالشرية، إلى النور.



لوحة رقم ٦ (ب). الشرية.



لوحة رقم ٧ (أ). مجموعة من الثقب المقامة على الفلج للوضوء والاستحمام.



لوحة رقم ٧ (ب). ثقب يرى بداخلها مجرى الفلج.

هذا هو الأسلوب المتبع في عمان، جنوب شرق الجزيرة العربية، للاستفادة من مياه الأفلاج (القنوات) في الأغراض المنزلية. ويلاحظ أن المنشآت المائية المقامة لهذا الغرض تختلف في تخطيطها المعماري عن حمام الجينية بالعلا، وإن كانت لا تختلف عنه كثيراً في وظائفها، فهي متفرقة كل وحدة منها أقيمت على مساحة مستقلة وغير متجاورة مع الأخرى.

## The Ancient Public Bath of al-Junainah at al-Ula, Kingdom of Saudi Arabia

Abdallah A. Nasif

*Associate Professor, Department of Archeology and Museology, College of Arts,  
King Saud University, Riyadh, Saudi Arabia*

**Abstract.** al-Ula is a well-known site rich in antiquities of the pre-Islamic and Islamic periods. One of its most important archaeological remains is its network of ancient *qanāts* (underground water channels) which were built primarily for provision of water for cultivation and domestic use. The *qanāt* system of al-Ula is linked with other waterworks. Of these, the public bath of al-Junainah has not been subjected to any study before. I have only referred to this bath in a previous undetailed study, and provided a plan and a photograph. The bath is situated to the north of the town, outside its walls and close to the gate of al-Junainah, and represents the main public bath of al-Ula. Its waterworks are similar to the baths of the early Islamic period noted at Wadi al-Qura and al-Juhfah in the Hijaz and Dundanaqan of Khurasan. Wilkinson has pointed out several similar waterworks in Oman, in southeast Arabia. The bath of al-Ula depends on Tid'il *Qanāt* which dates to the pre-Islamic era.